Scanned by CamScanner

المبحث الثالث

إعادة تكوين الحادث

ويقصد به ربط وقائع الجريمة والتحري عن الحلقات المفقودة التي تثير الشك أو تذهب معالم الجريمة أو الأثر الذي تركه الجاني أو التناقض في أقواله عند محاولته إنكاره ارتكاب الجريمة وتتم هذه العملية عن طريق أمرين:

الأول: استصحاب المتهم الذي ينكر ارتكابه للجريمة إلى مسرح الجريمة واستجوابه فيه، لوحظ أن هذه الطريقة تؤثر على نفسية المتهم المذنب وقد تحمله على الاعتراف خاصة إذا تناول المتهمون بعض العقاقير التي تضعف من إرادتهم[1].

الثاني: التعرف على طريقة ارتكاب الجريمة وبيان الخطوات المتعاقبة التي اتخذت في ارتكابها ، يسعى المجرم عادة على إخفاء ومحو آثار جريمته وطمس معالمها وتتوقف قدرة المحقق في اكتشاف الجريمة على درجة تصوير الكيفية التي وقعت بها ولا يتم ذلك إلا عن طريق الحصول على ما يمكن جمعه من الأمور الرئيسية لتكوين السلسلة بالشكل الذي وقعت به الجريمة لتكون الصورة أقرب ما يمكن من الحقيقة، ويقوم جهاز الشرطة في فرنسا بتسجيل شريط سينمائي في كيفية ارتكاب الحوادث المهمة مع مراعاة قدر الإمكان ما يلي:

---

(١) أخبرت السيدة (ح) مركز الشرطة العبخانه حول فقدان زوجها (ع) وبعد التحريات التي قام بها المحقق توصل إلى أن المفقود كان قد شوهد في اليوم الذي ادعي فقدانه فيه مع ابن عمه (ك) ، ولدى الاستفسار من (ك) عن مصير المفقود أنكر مشاهدته إياه وأصر على إنكاره رغم مواجهته من قبل الشاهد الذي رآهما سويًا فاقتاده المحقق إلى محل الحادث الكائن قرب معمل طابون الطحينة، وهناك أجري التحقيق معه واستجوابه، وعند الاقتراب من موقع وقوع الجريمة، انهار المتهم (ك) واعترف بارتكاب الجريمة بتحريض من زوجة القتيل للتخلص منه لوجود علاقة عاطفية بين القاتل والزوجة، وأرشد المحقق إلى محل إخفاء السكينة المرتكب بها الجريمة واستخرجها من تحت صخرة كبيرة في محل الحادث.

Scanned by CamScanner

١ ـ إعادة محل ارتكاب الجريمة إلى وضعيته الأصلية السابقة لوقوع الجريمة.

٢ ـ القيام بالتجارب المتطلبة وإحداث التغييرات التي حدثت فيها أثناء وقوع الجريمة بصورة كلية أو جزئية لاكتشاف الحلقات المفقودة واكتشاف جميع جوانب الجريمة كليًا، فتقارن تلك الأوضاع للوقوف على حقائق جديدة لمراحل وقوع الجريمة والتي قد لا يتوصل لاكتشافها بمجرد الكشف على محل الحادث أو بإجراء كشف الدلالة خاصة في جرائم السرقات والقتل ففي حوادث السرقات مثلاً: توضع الأموال المسروقة (أو أموال مماثلة لها) في موضعها الأصلي وتعاد مواقع المحل الذي تصرف فيه المجرم ومحلات دخوله وخروجه إلى أوضاعها الأصلية، وتجرى تجربة عملية وتمثيل كيفية وقوع الجريمة من قبل الجاني ممثلاً دوره وكيفية ارتكابه الجريمة مع استعمال الآلات الإجرامية أو المماثلة لها، وملاحظة الآثار والبقع التي تترك وتطابق وتقارن مع تلك التي حدث وقوعها [١].

* * *

(١) انظر عبد الستار الجميلي، المرجع السابق، ص ٧٦، ٧٧.

Scanned by CamScanner

المبحث الرابع

عودة المجرم إلى محل الجريمة

لوحظ من التجارب التحقيقية الطويلة أن بعض المجرمين وخاصة المجرمين لأول مرة فإنهم بعد ارتكابهم لجرائمهم والتي على درجة معينة من الجسامة كالقتل مثلاً يعودوا إلى محل ارتكاب الجريمة بعد يوم أو يومين أو أكثر بقليل وغالبًا ـ ما يسير المجرم وراء جنازة ضحيته وربما يكون من أبرز مشيعيها.

ويفسر العلماء في مجال علم النفس الجنائي هذه الظاهرة النفسية: بأن الإنسان يعيش أحيانًا صراعًا داخل نفسه وقد ينتهي هذا الصراع ويحل بأن يرتكب تصرفات غير اجتماعية (عدوانية) تنطوي في معظمها تحت مفهوم الجريمة بمفهومها القانوني وذلك عندما تكون القوى الدافعة (الغريزية ـ العدوانية) أشد وأعنف من القوى الكابتة (الأخلاقية ـ الاجتماعية) وينجم في كثير من الأحيان نتيجة لهذه الجريمة شعورًا بالذنب (الإثم) قد يؤدي به إلى الانتحار أو يسلم نفسه إلى الشرطة معترفًا بارتكابه للجريمة أو يدفعه إلى أن يعود إلى محل ارتكاب الجريمة وكأنه يفرض على ذاته الشعورية عقابًا لا شعوريًا باقترابه من المصيدة وقبضة العدالة.

وعندما يحضر المجرم إلى محل ارتكاب الجريمة يلاحظ بأن تصرفاته تكون مصحوبة بدوافع لا شعورية كأن يقوم بحركات جسمانية معينة إذ تطرأ عليه اضطرابات نفسية متميزة أو فلتات لسان واضحة... إلخ ، ويستطيع المحقق القوي الملاحظة أن يستفيد من هذه الأمور في حل لغز الجريمة ومعرفة المجرم الحقيقي [1]. وخير من صور هذه الحالة النفسية اللاشعورية الكاتب الروسي المعروف «دوستويفيسكي» في روايته الشهيرة الجريمة والعقاب فإن بطل الرواية «راسكولنيكوف» بعد أن يقتل العجوز المرابية «اليونايفانوفنا»

---

(١) انظر عبد الستار الجميلي ومحمد عزيز، مسرح الجريمة، ص ٨٧ – ٨٩، مطبعة دار السلام، بغداد ١٩٧٦م.

Scanned by CamScanner

ضاربًا إياها بالفأس على رأسها ويسرق نقودها ويقتل أختها أيضًا نجده بعد يومين من ارتكاب الجريمة يمشي على غير هدى وفجأة شعر كأنما يهمس بعضهم في أذنه.

ولما رفع رأسه وجد أنه قد بلغ ذلك (البناء) ووقف تمامًا أمام الباب! كان يتحاشى منذ تلك (الليلة العتيدة) المرور بذلك المكان غير أن رغبة لا تقاوم يصعب تفسيرها استبدت به فدخل البناء... كان الظلام حالكًا والسلم ضيقًا يصعب سلوكه.. شعر بتردد لون من الخوف: كان باب المسكن مفتوحًا على مصراعيه وكانت أصوات تنبعث من الداخل فتأكد من وجود أشخاص فيه: الأمر الذي لم يكن يتوقعه، لم يتردد طويلاً بل دخل المسكن بقدم ثابتة... كان في المسكن عاملان يشتغلان.. حدجه أكبر العاملين بنظرة وسأله:

ـ ماذا تبحث هنا؟ لم يجب «راسكولنيكوف».

ـ لكن ماذا تريد؟ من أنت؟

عاد «راسكولينكوف» إلى الغرفة الداخلية وهو يقول:

ـ أنا أبحث عن مسكن أقطنه وقد جئت أعاين هذا.

ـ لا يزور الناس المساكن الخالية ليلاً ! ثم إنه كان عليك أن تصحب معك البواب.

سأل «راسكولينكوف» وهو يتجاهل ملاحظة العامل:

ـ لقد نظفوا الأرض كما يبدو. هو سيدهنوها؟ ألا توجد آثار دماء؟

ـ أية دماء.

ـ لكن العجوز وأختها قتلتا وكانت هنا بحيرة من الدم.

ـ أي نوع من الناس أنت؟

ـ أتريد أن تعرف أي نوع من الرجال أنا؟ لنذهب إلى دائرة الشرطة وسأعلمك هناك.

نظر العاملان إلى بعضهما بخوف فقال الأكبر سنًّا:

ـ هيا لقد أزف وقت رحيلنا..

Scanned by CamScanner

فقال «راسكولينكوف» بلا مبالاة.

ـ حسنًا لنذهب..

وخرج أولاً وراح يهبط السلم ببطء فلم بلغ الباب الخارجي هتف مناديا البواب ـ هه! «فورفيك».

كان عدد من الأشخاص من بينهم البوابان وإحدى الفلاحات وأحد الصناع بتوب منزلي، واقفين أمام الباب يتأملون المارة . قصد «راسكولينكوف» إليهم فسأله أحد البوابين...؟

ـ ماذا تريد...؟

لم يجب «راسكولينكوف» بل لبث واقفًا بين الجماعة ساهم الفكر بينما قال أكبر العاملين سنًّا:

ـ لقد جاء يتفقد المسكن الذي نشتغل فيه.

ـ أي مسكن...؟

ـ ذلك الذي نشتغل فيه وكان يسأل: لم غسلوا الدم؟ لقد وقعت جريمة قتل هنا وقد جئت استأجر هذا المسكن، ثم راح يقرع الجرس حتى كاد أن يقطع حبل الجرس، ثم طلب إلينا أن نذهب معه إلى دائرة البوليس ليتحدث بكل شيء! شعر البواب بشيء من القلق ثم قال:

ـ من أنت؟.

ـ أنا «روديون رومانيتش راسكولينكوف» طالب سابق وأقطن في دار ـ (سشيل) بالقرب من هنا في الزقاق المجاور رقم(١٤).

ـ وماذا جئت تعمل هنا؟

ـ أردت أن أراه...

وماذا فيه حتى تهتم برؤيته؟

وهنا تدخل الصانع ذي الثوب المغربي وقال:

Scanned by CamScanner

ـ ماذا لو استقناه إلى مركز البوليس.

نظر إليه «راسكولينكوف» نظرة متعالية وتأمله برهة باهتمام ثم قال بهدوء:

ـ هيا بنا!

بينما عاد الرجل يقول مؤكدًا.

ـ ينبغي أن نذهب به إلى هناك طالما أنه جاء «لهذا السبب» ينبغي أن تكون في رأسه فكرة ما.

وعاد البواب يسأل وقد علا وجهه بالغضب.

ـ ماذا تريد على الضبط، لماذا جئت تزعجنا؟

فأجاب «راسكولينكوف» بسخرية:

ـ إنك ترتعد خوفًا من الذهاب إلى دائرة البوليس.

ـ ولم أرتعد من الخوف؟ لم جئت تزعجنا؟

وصاحت القروية.

ـ إنه نشال حقير.

بينما قال البواب الآخر وكان رجلاً ضخم الجثة يحمل في يده حلقة مفاتيح كبيرة.

إنه متسكع حتمًا فلم تتناقش؟ هيا غادرنا... «انقلع».

وأمسك بكتف «راسكولينكوف» ثم دفعه إلى الشارع فكاد أن يسقط على الأرض لكنه تحامل على نفسه ونظر بإمعان إلى أولئك الذين كانوا مجتمعين وابتعد.

راح «راسكولينكوف» يناجي نفسه «أأذهب أم لا أذهب؟» وكان واقفًا على الرصيف عند المنعطف ينظر حوله وكأنه ينتظر الجواب من أحد [1].

* * *

(١) انظر فيدور دوستويفسكي الجريمة والعقاب، الترجمة الكاملة، منشورات دار اليقظة العربية، دمشق دوار مكتبة الحياة، بيروت، ص ٣٠٠ ـ ٣٠٦ سنة ١٩٦٦.

Scanned by CamScanner

المبحث الخامس

الاستعراف بواسطة الكلاب البوليسية

تتميز الكلاب البوليسية عن معظم الحيوانات بقوة حاسة الشم لديها، وقد قدرت نسبة استعمال الكلاب لهذه الحاسة بـ ١٠٠٪ وعندما يؤتى بالكلب البوليسي إلى المكان الذي ارتكب فيه جريمة ما فإنه يتتبع أثر رائحة المجرم المنتشرة في الهواء، أو التي رسيت على الأشياء التي أمسك بها، أو انطبعت على الأرض بفعل أقدامه العارية أو المحتذية ويندمج للبحث عن مصدرها حتى يصل إليه ، وذلك لأن كل إنسان يفرز رائحة خاصة تختلف في كل جسم عنها في جسم آخر وتلتصق بالملابس والأشياء الأخرى التي تلامس أي جزء من ذلك الجسم وتتعلق بالأرض التي يسير عليها الإنسان وتذروها الرياح فتحوم في الهواء بكيفية يستدل الكلب بواسطتها على متابعة اتجاه صاحبها.

ويلاحظ بأن حاسة الشم عند الكلاب تتأثر بالحرارة والرطوبة وبالحالة الصحية، كما أن بقاء الروائح في مكانها لمدة طويلة يتوقف على تأثير الظروف الجوية المحيطة بها كالحرارة والرطوبة والمطر واتجاه الريح، وتزول الرائحة عادة بعد يوم واحد أو أيام قليلة لا تتجاوز الأسبوع في الحالات التي تكون الأشياء محفوظة في موضع محكم الغلق فإن الرائحة تبقى محتفظة بخواصها المميزة عدة أسابيع وربما بضعة أشهر [1].

مهام الكلاب البوليسية:

تستخدم الكلاب البوليسية لآداء المهام الآتية:

---

(١) انظر فؤاد أبو الخير وإبراهيم غازي، المرجع السابق، ص ٦٧٤ – ٦٧٦.

Scanned by CamScanner

١ ـ تتبع وتعقيب الهاربين مرتكبي جرائم القتل والسرقة والتهريب وغيرها ويكون ذلك بعد أن يشم الكلب الأثر مستعينًا بالرائحة التي تنبعث منه وتبقى منتشرة في الفضاء.

٢ ـ البحث عن الأموال المسروقة ومعرفة مكان إخفائها، إذ يشم الكلب رائحة الأثر الذي تركه المجرم في محل الحادثة ثم يعقب أثر الرائحة إلى أن يصل إلى المكان الذي أخفى فيه السارق الأموال المسروقة.

٣ ـ الاستعراف.

٤ ـ حراسة الأشخاص والمنازل والمنشآت:

لإجراء هذه العملية في سبيل تشخيص المجرم يؤتى بالأثر الذي تركه المجرم في محل الجريمة ويعرض للكلب ليتحقق من رائحته أو يؤتى بالكلب إلى محل الحادثة لشم آثار المجرم المتروكة، ثم بعد ذلك يوضع المتهم مع ثمانية أشخاص آخرين ويصفون بحيث يجلس واحد خلف الآخر وبين كل منهم مسافة خطوة تقريبًا، ثم يمر الكلب بينهم ليتعرف على صاحب الرائحة إن وجد، ويلجأ المحقق عادة إلى اختبار الكلب قبل عملية الاستعراف على المتهم.

واجبات المحقق في استخدام الكلاب البوليسية:

١ ـ تحريز الأشياء بصورة محكمة لعرضها على الكلب البوليسي.

٢ ـ التعاون مع مدرب الكلب وإحاطته علمًا بظروف الحادثة لتوجيه الكلب حسب الخطة المرسومة.

٣ ـ يكون تحريز كل شيء على حدة وإلا يجمع مادتين إذ قد تكون متعلقين بشخصين مختلفتين مما يفسد مهمة الكلب.

٤ ـ تأجيل مهمة الخبراء الفنيين كخبراء طبعات الأصابع والأقدام وغيرهم في معالجة الآثار بالوسائل الفنية لحين شمها من قبل الكلب للحيلولة دون اختلاط

Scanned by CamScanner

روائحهم مع رائحة الجاني.

٥ ـ المحافظة على الآثار الثابتة وتغطيتها لحين حضور الكلب البوليس.

٦ ـ تنظيم محاضر تحقيقية لعملية الاستعـــراف على المتهـــم أو تعقيب أثر الجريمة والجاني من قبل الكلب البوليسي، والتوقيع عليها من قبل المحقق ومدرب الكلب وشاهدين[1].

* * *

(١) انظر عبد الكريم درويش، التحقيق والبحث الجنائي، ص ١٩٥٥ القاهرة، ص ٨٢ – ٨٤ . عبد الستار الجميلي، المرجع السابق، ص ٨٦ – ٨٧ فؤاد أبو الخير وإبراهيم غازي، المرجع السابق، ص ٦٧٤ – ٦٧٦ .

Scanned by CamScanner

Scanned by CamScanner